

أسس الاصطفاء والاجتباء
والاختيار للأصلح
في القرآن الكريم

م. معتمد صائب دلي

جامعة الانبار / كلية التربية الأساسية / قسم علوم القرآن



المخلص

ضم القرآن الكريم في كثير من آياته أسسا مهمة لكثير من الفعاليات البشرية ، ومنها قواعد اختيار الأصلح لتأدية المهام المختلفة والواجبات المتنوعة ، ولأهمية هذا الاختيار وما يترتب عليه من آثار مهمة ، وهذا الموضوع من المواضيع المهمة في حياتنا ، إذ إن أكثر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات اليوم هي عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، سواء أكان الاختيار يجري بالطرق الليبرالية ، أم بالتعيين ، أم بغيرها .

Abstract

Koran included in many verses foundations important for a lot of human events, including the selection of the fittest rules to perform different tasks and miscellaneous duties, but the importance of this choice and the consequent significant impacts, and the subject of the important issues in our lives, as the more the problems of the communities today is not to put the right person in the right place, whether the selection means being liberal, or appointed, or to other

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى لنا هذا الدين المتين، وجعلنا به من المسلمين، واصطفى خير الناس أرومة محمداً ﷺ رسولاً للعالمين، فله الحمد في الآخرة والأولى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله رب العالمين .

أما بعد :

فقد اشتمل القرآن الكريم في كثير من آياته على أسس مهمة، وقواعد نافعة لكثير من الفعاليات البشرية، والأنشطة الإنسانية، التي ما جاء ذكرها عبثاً أو عرضاً، بل ليستهدي بها البشر، ويتأسوا بها، ويستخلصوا منها العبر .

ومما حفل القرآن الكريم بذكره قواعد اختيار الأصلح لتأدية المهام المختلفة والواجبات المتنوعة، إذ جرت الإشارة إلى هذا الأمر بألفاظ صريحة حيناً، وبالتعريض حيناً آخر .


ولأهمية هذا الاختيار وما يترتب عليه من آثار مهمة، فمن المناسب الوقوف على أسس الاجتناب والاصطفاء ، والدروس المستخلصة منها في هذا البحث الموسوم (أسس الاصطفاء والاجتناب والاختيار للأصلح في القرآن الكريم).

وأهمية هذا الموضوع في حياتنا، إذ إن أكثر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات اليوم هي عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، سواء أكان الاختيار يجري بالطرق الليبرالية، أم بالتعيين، أم بغيرها، إذ إن غالبية المعايير المستخدمة لا تتوافق مع المعايير العلمية والموضوعية، حتى تلك التي تبدو للناظر مناسبة وعادلة، مثل الانتخابات الليبرالية، إلا أنها في حقيقة الحال لا تعني أفضلية الشخص المنتخب، إذ تخضع هذه العملية لتأثيرات كثيرة معروفة قد تكون الأفضلية آخرها .

والموضوع واسع للغاية، لا يكاد يلم بحث موجز كهذا بأطرافه، ناهيك بتفاصيله، لذلك فالهدف منه هو لفت الأنظار لهذا الموضوع من جهة، والتركيز على أبرز أسس الاصطفاء من جهة أخرى .

وقد جرى تقسيم هذا البحث بعد هذه المقدمة الموجزة على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الاصطفاء .

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح  البحوث المحكمة

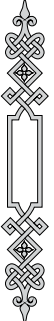
المبحث الثاني: المعايير الذاتية للاصطفاء.

المبحث الثالث: المعايير الموضوعية للاصطفاء .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات .

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً .



تعريف الاصطفاء والاجتباء والاختيار

في هذا المبحث سيجري تعريف الاصطفاء والاجتباء والاختيار في اللغة الاصطلاح، وبيان الاتخاذ.

أولاً - الاصطفاء

أ- الاصطفاء في اللغة: الاختيار، أفتعالٌ من الصَّفْوَةِ. ومنه: النبيُّ المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ وَصُطَفَاهُ وَالْأَنْبِيَاءُ الْمُصْطَفَوْنَ: وهم من الْمُصْطَفَيْنِ إِذَا اخْتِيرُوا، وَهُمْ الْمُصْطَفَوْنَ إِذَا اخْتَارُوا، وهذا بضم الفاء. وَصَفِيُّ الْإِنْسَانِ: أَخُوهُ الَّذِي يُصَافِيهِ الْإِخَاءَ. وَالصَّفِيُّ: الْمُصَافِي (١).

ب - الاصطفاء في الاصطلاح: نقل المناوي عن الحرالي تعريف الاصطفاء بأنه: ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره (٢).

واصْطَفَاءُ اللهِ بَعْضَ عِبَادِهِ يَكُونُ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ :

١ . بِإِيْجَادِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ صَافِيًا عَنِ الشُّؤْبِ الْمَوْجُودِ فِي غَيْرِهِ .

٢ . يَكُونُ بِاخْتِيَارِهِ وَبِحُكْمِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَّلِ (٣) .

فالاصطفاء على هذا: هو اختيار مع اتصاف المختار بنوع فضيلة إما وهبة، أو مكتسبة .

ثانياً - الاجتباء:

أ- الاجتباء في اللغة: أصله الجمع، من الفعل جبي، يُقَالُ: جَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ: أَي جَمَعْتُهُ (٤).

(١) ينظر: لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري. (ت ٧١١هـ). دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م: مادة (صفي) ٤٦٣/١٤ .

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف. لمحمد عبد الرؤوف المناوي. (ت ١٠٣١هـ). تحقيق: د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر - دمشق، ودار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. ١٤١٠هـ: ٦٩ .

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت ٥٠٢هـ). أعدته للنشر وأشرف على الطبع: د. محمد أحمد خلف الله. مكتبة الأنجلو المصرية. بلا تاريخ: ٢٨٣ .

(٤) ينظر: المفردات: ١٦٤ .

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح ﴿﴾ البحوث المحكمة

وَالاجْتِبَاءُ: افتعال من الجباية، وهو الجمع على طريقِ الاصْطِفَاءِ قال عز وجل: ﴿فَأَجْنِبْهُ رُبَّهُ﴾^(١) أي اجْتَبَاهُ واصْطَفَاهُ^(٢).

ب- الاجتباء وفي الاصطلاح: اجْتِبَاءُ اللَّهِ الْعَبْدَ يَعْنِي تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُ بِفَيْضِ إلهِي يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّعْمِ بِلا سَعْيٍ مِنَ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لِلأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَبَعْضُ مَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)، أي: خَصَّه اللهُ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِينَ^(٤).

ثالثاً: الاختيار:

أ- الاختيارُ في اللغة: هو تَفْضِيلُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ^(٥). وأصل الاختيار من الخير وهو ضد الشر. يقال: خار الله لك: أي أعطاك ما هو خيرٌ لك^(٦). ويقال: خير فلان فاختر، أي: جعل له أن يختار منها واحداً، وهو بفتح الخاء^(٧).

وقد يأتي التخيير بمعنى التفضيل، يقال: خيَّرَ بين الأشياء، أي: فضَّلَ بعضها على بعض^(٨).

ب- الاختيار في الاصطلاح: هو إرادة الشيء بدلاً من غيره. ويشترط في الاختيار أن لا يكون مع حضور المختار وغيره بالبال، فالمختار هو المرید لخير الشئين في الحقيقة، أو خير الشئين عند نفسه من غير إلقاء واضطرار، ولو اضطر الإنسان إلى إرادة شئ لم يسمَّ مختاراً له، لان الاختيار

(١) سورة القلم: من الآية ٥٠ .

(٢) ينظر: المفردات: ١٦٤ .

(٣) سورة القلم: من الآية ٥٠ .

(٤) ينظر: المفردات: ٨٧؛ التوقيف: ٣٥ / ١ .

(٥) ينظر: المفردات: ١٦٠ .

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري. (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور

عطا. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط ٢. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م: مادة (خير) ٦٥٢ / ٢ .

(٧) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب. لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز. (ت ٦١٠هـ). تحقيق:

محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار. مكتبة أسامة ابن زيد. حلب. ط ٢. ١٩٧٩ م: ٢٧٦ / ١ .

(٨) ينظر: لسان العرب: مادة (خير) ٢٦٤ / ٤ .



خلاف الاضطرار^(١) .

رابعاً: الاتخاذ:

الاتخاذ في اللغة: من الفعل أَخَذَ، والإخْذُ بالكسر الاسم، والأمر منه خُذْ، والاتَّخَذُ: افتعال من

الأخذ^(٢) .

وقيل: الاتخاذ هو الاقتناء^(٣) .

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي للكلمة، فهو اختيار مصحوب بنوع تملك؛

لأنه يترتب على الاتخاذ تملك للمأخوذ، سواء أكان التملك معنوي أم مادي .

والفرق بين الاختيار والاصطفاء: أن اختيارك الشيء أخذك خير ما فيه في الحقيقة أو خيره

عندك، والاصطفاء أخذ ما يصفو منه ثم كثر حتى استعمل أحدهما موضع الآخر - واستعمل

الاصطفاء فيما لا يصفو له على الحقيقة^(٤) .

والفرق بينه وبين الاجتباء والاختيار، أن الإِصْطِفَاءَ: تَنَاوُلُ صَفْوِ الشَّيْءِ، وَالإِخْتِيَارَ تَنَاوُلُ

خَيْرِهِ، وَالاجْتِبَاءَ تَنَاوُلُ جِبَائَتِهِ^(٥) .

مما تقدم يظهر أن جميع هذه الألفاظ تشترك في معنى واحد، وهو انتقاء شخص، أو مجموع

أشخاص، أو قوم، أو أمة لتحقيق هدف معين.

(١) ينظر: الفروق اللغوية. لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ضبطه وحققه: حسام

الدين القدسي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بلا تاريخ: ٢٨ .

(٢) ينظر: مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (توفي بعد ٦٦٦ هـ). تحقيق: محمود خاطر. مكتبة

لبنان ناشرون. بيروت. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: مادة (أخذ) ٤ .

(٣) ينظر: التوقيف: ٣١ .

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٨ .

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٣ .

المبحث الثاني المعايير الذاتية

المراد بالمعايير الذاتية هنا هي الخصائص أو الخصال التي يتصف بها المعين بالاصطفاء، والتي أهلتها لهذه المنزلة أي أن يصطفى من بين عموم الناس .

أولاً - أهمية الاختبار والامتحان لإثبات الكفاءة والقدرة :

ليس مستغرباً أن يقفز زيد من الناس بين لحظة وضحاها ليتسلم منصباً ما، من دون أن تكون له خبرة أو دراية مسبقة، أو يعرف عنه قدرته على تحمل المسؤولية وأداءها، ويزداد الأمر تعقيداً عندما يكون الذي عينه هو نفسه موضع تساؤل .

وقد ركز القرآن الكريم على أهمية هذا الجانب وقد جرت الإشارة إليه مقررناً بألفاظ الاصطفاء تارة، وبغيرها تارة أخرى، في مواضع كثيرة، ومن شواهد الأخيرة قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُهُمْ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

ومن الآيات التي ذكر فيها الاجتباء قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وفي هذه الآية أكثر من دلالة، ما يتعلق بالابتلاء هنا هو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾، وفي المراد بالخبث والطيب أقوال:

القول الأول: الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، وتمييزه بالهجرة والجهاد (٣).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٩ .

(٣) ينظر: البحر المحيط. لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. الشهرير بابن حيان وبأبي حيان. (ت ٧٥٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩هـ: ١٢٧/٣ .



م. معتمد صائب دلي

القول الثاني: الطيب المؤمن، والخبيث المنافق، مَيَّزَ بينهما يوم أحد^(١).
القول الثالث: الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، وتمييزه بإخراج أحدهما من صلب الآخر^(٢).
القول الرابع: تمييز الخبيث هو إخراج الذنوب من أحياء المؤمنين بالبلايا والرزايا^(٣).
القول الخامس: الخبيث العاصي، والطيب المطيع^(٤).
والأقوال الثلاثة الأولى متقاربة، وهي التي تبدو متوافقة مع السياق القرآني، أي إن الطيب هو المؤمن، والخبيث هو الكافر أو المنافق أو كليهما معاً، ومن في معناهما، والتعميم في سبب التمييز أولى من تخصيصه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
والتمييز هو: الفصلُ بينَ المشابهات^(٥)، فالمؤمن يشابه غيره من حيث الخلقة، أو من حيث الوضع الاجتماعي، أو من حيث الحقوق وغيرها من الاعتبارات؛ لذا كان من المناسب أن يبين هذا التمييز بين الفريقين، وهذه سنة الله تعالى في خلقه أن يبث عباداً بأنواع المحن، ولا تخفى أهمية الابتلاء في صقل القدرات، وإظهار الطاقات، وكشف الزائف والدخيل.
وعلاقة الآية بالاجتباء، تتمثل بالإخبار بأنه تعالى يختار من رسله من يشاء فيطلع على حقيقة هذا التمييز، وأن الناس تطلع عليه جهة الرسول بوحى الله، أي: إنه حكم بأن يظهر هذا التمييز^(٦).
ثم بيّن هذه الآية أنه لا يجوز أن يجعل هذا التمييز في عوام الناس بأن يطلعهم على غيبه فيقولون:

- (١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي الشافعي. (ت ٦٨٥هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ١٢١/٢.
- (٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت. ط ٣. ١٤٠٤ هـ - ١٩٩٠ م: ٥١١/١.
- (٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي. (ت ٧٧٤هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠١ هـ: ٤٣٣/١.
- (٤) ينظر: البحر المحیط: ٣/ ١٢٧؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني. (ت ١٢٥٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. بلا تاريخ: ٨١/٢.
- (٥) ينظر: المفردات: ٤٧٨؛ لسان العرب: مادة (ميز) ٤١٢/٥.
- (٦) ينظر: معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي). لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ). تحقيق: خالد العك، ومروان سوار. دار المعرفة. بيروت. ط ٢. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٣٧٧/١.

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح ﴿﴾ البحوث المحكمة

إنَّ فلاناً منافق، وفلاناً مؤمن، بل سنة الله تعالى جارية بأن لا يطلع عوام الناس، ولا سبيل لهم إلى معرفة ذلك إلا بالامتحان. فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب فهو من خواص الأنبياء، ولهذا اجتنبى الله تعالى من رسله من شاء، فخصهم بإعلام أن هذا مؤمن وهذا منافق^(١).

وهذا يسعر بأن هذا الغيب الذي نفى الله اطلاع الناس عليه راجع إلى أحوال المؤمنين والمنافقين، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل العموم، أي: ما كان الله ليجعلكم كلكم عاملين بالمغيبات من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عنه، بل الله يخص من يشاء من عباده بذلك وهو الرسول، فتندرج أحوال المنافق والمؤمن في هذا العام^(٢).

ثانياً - أهمية العلم :

العلم باب واسع لا يمكن الإحاطة بمفرداته ؛ ولكن هناك حدود دنيا ينبغي أن يتصف بها الإنسان ولاسيما من اجتنبى لأمر ما، أو لوظيفة معينة، فعليه أن يحيط بمتطلبات عمله بأفضل ما يكون، وبأسرع ما يمكن، إذ صار معتاداً أن يشغل بعضهم مناصب معينة لا خبرة له فيها، ويترك أمر اكتساب المعرفة والخبرة للأيام وللتجارب، وفي هذا تفريط بحقوق الآخرين .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَيْرًا عَنْ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦) ﴿٣﴾ .

فهنا اقترن الاجتباء بتعليم تأويل الأحاديث، والمراد بالاجتباء هنا: هو اختيار معالي الأمور للمجتبى، وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف - عليه السلام - وتعيد فيما عدده من النعم التي آتاها الله تعالى من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث^(٤).

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٢٨/٣ .

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي. (١٢٧٠هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت بلا تاريخ: ٤/ ١٣٦ .

(٣) سورة يوسف: الآية ٦ .

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. (ت ٣١٠هـ) دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠٥هـ: ١٢/ ١٥٣؛ الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن



م. معتمد صائب دلي

قال القرطبي: «أجمعوا أن الاجتناء في تأويل الرؤيا. وهي معجزة له، فإنه لم يلحق فيها خطأ، وكان يوسف - عليه السلام - أعلم الناس بتأويلها»^(١).

واختلف المفسرون في المراد بالأحاديث هنا على الأقوال الآتية:

١. أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد، فهو إشارة إلى النبوة وهو المقصود بقوله:

﴿وَمِن رِّبِّكَ نِعْمَةٌ عَلَيْكَ﴾، أي: بالنبوة.

٢. وقيل بإخراج إخوتك إليك.

٣. وقيل بإنجائك من كل مكروه^(٢).

والذي يبدو راجحاً هو القول الأول، إذ أن إخراج الأخوة، أو الإنجاء من المكروه، ليس من تأويل الأحاديث بشيء، فكانت معجزة يوسف - عليه السلام - في تأويل الرؤى، وحسن تدبير الأمور في ضوء هذا الأمر.

ومعرفتنا بقصة يوسف - عليه السلام - تشير إلى أنه برع في تأويل الروى بسن مبكرة، مما يؤكد أهمية الإحاطة بالقدر الواجب من العلم قبل تولي المهام.

ثالثاً - التمييز بالمنهج الصحيح:

عندما تختلط الأوراق، وتتداخل الخنادق، تلمس بصائر كثيرين، فلا يقدر على التمييز بين الحق والباطل، وعلى وجه الخصوص عندما يعمّ باطل وتصبح له الصولة، فإن الحق يبدو غريباً مستهجناً، لا يكاد يجرؤ أحد على الإشارة إليه، بل التصريح به.

فمن امتلك هذه الخصيصة أي لقدرة على إظهار الحق، ومقاومة الباطل بالإمكانات المتاحة حري أن يؤهل أو أن يجتنبى لخدمة الآخرين.

وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِتْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٣٠)
شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمُنَّ

أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزر جي القرطبي. (ت ٦٧١هـ). دار الشعب. القاهرة. ط ٢٠١٣٧٢. ١٢٨/٩.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٨/٩.

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح

البحوث المحكمة

أَصْلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ (١).

لقد وصف إبراهيم - عليه السلام - بأنه أمة، والأمة: هو الرجل الجامع لخصال الخير، وقيل في معناه أنه المؤمن وحده في زمانه، وقيل: الذي يعلم الخير، أو الإمام الذي يقتدى به^(٢)، والذي يبدو أنسب وأوفق أنه المؤمن وحده في زمانه، فذا يتوافق تماماً مع حال إبراهيم - عليه السلام - عندما اختير للنبوّة كما في قصته المعروفة .

ووصف - عليه السلام - أيضاً بأنه كان قانتاً حنيفاً، والقانت هو المطيع والحنيف: هو المائل عن الضلال إلى الاستقامة^(٣).

ففي هذه الآيات إخبار بما فضل الله تعالى به خليله - عليه الصلاة والسلام - وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فقد كان إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً، مديماً لطاعة ربه، مخلصاً له الدين مقبلاً على الله بالمحبة، والإنابة، والعبودية، معرضاً عمّن سواه. وهذا من ترغيب الناس في الإتيان بمثل فعله، وتعظيم الفعل أيضاً حتى أن فعله سجية لكل مؤمن^(٤).

ولهذه الخصال العظيمة آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها. فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن اختصه الله تعالى بخلته، وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين. فظاهر الآية يشير إلى أنّ الاجتباء كان محصلة لما جبل عليه إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - من خصال حميدة، أهلته لمنزلة الاجتباء^(٥).

وهذا درس على جانب كبير من الأهمية، أن يجري اجتباء الأشخاص واختيارهم على أساس قدراتهم وإمكاناتهم، وليس على أسس غيرها، فالأسس الأخرى - أياً كانت - فلها ميادينها، فمن

(١) سورة النحل: الآيات ١٢٠-١٢٢.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٥٠٣/٤.

(٣) ينظر: المفردات: ١٣٣؛ النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١/٤٥١؛ لسان العرب: مادة (حنف) ٥٨/٩.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٧٦/٦.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١٤/١٩٠؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠/١٩٨؛ تفسير القرآن العظيم: ٢/٥٩١.

شاء نفع قريبه مثلاً، فيمكنه أن يفعل هذا في نطاق الأسرة لا على حساب الآخرين .

رابعاً - التوافق بين العمل وبين القدرات :

قد يتجاوز الرجل الثمانين عاماً وهو يستخدم الكرسي المتحرك ؛ لكنه يأبى التخلي عن منصبه، أو وظيفته، وآخر لا يكاد يفارق المستشفى، وهو يشغل منصباً مهماً، وغير ذلك من أمثلة كثيرة، ما يشعر أن الشخص المكلف بهذا العمل غير مؤهل نفسياً أو بدنياً لتحمل أعبائه، ويزيد الأمر صعوبة ضياع المعايير الصحيحة في المجتمع أو في المؤسسة الوظيفية .

يقول تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٧) .

فالقوم وضعوا معياراً للفضيلة أو للقيادة، ألا وهي كثرة المال، ولعل هذا يتوافق مع من يكسب الانتخابات بسبب إمكاناته المالية، فرد عليهم نبيهم أن الله سبحانه اصطفاه عليهم بخصلتين: هما العلم، والجسم .

وقد جرى الحديث عن العلم، أما المراد بالجسم هنا كناية عن فضل قوته، لا اقتران فضل القوة بزيادة الجسم غالباً، ولم يرد به عظم الجسم بلا قوة ؛ لأن ذلك لا حظ له في القتال، بل هو وبال على صاحبه إذا لم يكن به قوة فاضلة^(١) .

وقد أثبتت التجارب اللاحقة فضل صفتي العلم والقوة البدنية عند طالوت، فظهرت فضيلة العلم في تنقية جيشه من الضعفاء والمعارضين ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (٣) .

قال القرطبي: « ومعنى هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم أنه

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٧ .

(٢) ينظر: أحكام القرآن، لعبد الدين محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراسي، (ت ٥٠٤ هـ) : ١ / ١٦٣ .

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٤٩ .

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح ﴿﴾ البحوث المحكمة
مطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته في الماء وعصى الأمر، فهو في العصيان في الشدائد أحرى،
فروي أنهم أتوا النهر وقد ناهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن، فلذلك رخص للمطيعين
في الغرفة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال وبين أن
الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شطف العيش الذين همهم في غير الرفاهية^(١).



(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢٤٥.

المعايير الموضوعية

المراد بالمعايير الموضوعية هنا هي الخصائص أو الخصال التي يتصف بها المعين بالاصطفاء، والتي تؤهله للتأثير في الآخرين، والفرق بين المعايير الموضوعية والذاتية، أن الذاتية تعني توافر المعين على صفات حسنة، ولكن قد لا تؤهله للتأثير في الآخرين، فالفرق بين الذاتي والموضوعي هو كالفرق بين الإنسان الصالح في نفسه، وبين الإنسان الصالح الداعي إلى الصلاح .
أولاً - التوفيق للهداية :

ليس المراد من الاصطفاء أو الاجتباء تحقيق مكاسب مادية أو معنوية للشخص المجتبي أو المصطفى إذ يتسابق المعينين إلى تحقيق أقصى درجات الاستفادة الذاتية الممكنة، بل أن يحقق هذا الاجتباء أغراضاً سامية، وأهدافاً عليا، تتناسب مع المسؤولية التي أوكلت إلى المعين، وهذا الأمر نوه عنه القرآن الكريم في عدة مواضع .

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَاتِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) .

فالآية بينت أن الغرض من الاجتباء هو الهداية إلى صراط مستقيم، وهو جامع لخصال الخير كلها، فالاستقامة تقال في الطريق الذي يكون على خط مستوٍ وبه شبه طريق الحق^(٢)، نحو قوله سبحانه: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٣) .

والمعنى أن الله تعالى اجتبي بعض الأنبياء - عليهم السلام - فاجتبي آباءهم، وأبناءهم، وإخوانهم^(٤)، وأن هذا الاجتباء جاء مرتبطاً بالهداية، ومع أن الهداية المقصودة هنا هي هداية توفيقية لا كسب للعبد فيها، إلا أن القصد النهائي المتمثل بالصرراط المستقيم هو الغاية التي ينبغي أن يتطلع

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٧ .

(٢) ينظر: المفردات: ٤١٦ ؛ النهاية: ٤ / ١٣٥ .

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٦ .

(٤) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. (ت ٦٠٨هـ). مؤسسة الأعلمي للطبوعات. بيروت. بلا تاريخ: ٥٣٨ / ١ .

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح ﴿﴾ البحوث المحكّمة

لها كلّ إنسان، ولا سيما من اجتبي منهم لأمر ما، أو لعمل مخصوص .
فالقاضي الذي يجعل نصب عينيه اتباع الصراط المستقيم سوف لن يجيد عن الحق قيد أنملة،
والسياسي المنتخب سوف يضع في اعتباره خدمة الشعب لا خدمة منافعه الذاتية أو يسعى لتحقيق
منافع فئوية ضيقة .

ثانياً - الحكمة من اصطفاء الرسل - عليهم السلام - :

إن الله تعالى يصطفى ويختار ويستخلص من خلقه رسله من يشاء لفضيلة ذاتية في المصطفين
المختارين، أو فضل ما اصطفاه الله تعالى، والمراد بالاختيار الاجتباء والاصطفاء فهو اختيار بعد
الخلق والاختيار العام اختيار قبل الخلق، فهو أعم وأسبق^(١).

ويظهر أثر اختيار الرسل - عليهم السلام - في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة،
ومقاماتهم في الموقف، ومن تفضيل الله لأمته واختياره لها أنه وهبها من العلم والحلم ما لم يهبه
لأمة سواها، ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد
الحرام، فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من
القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين كاشفي رؤوسهم
متجردين عن لباس أهل الدنيا وجعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم^(٢).

والاجتباء والاصطفاء لا يكون قاصراً على الأفراد، بل يشمل أيضاً الجماعات، كما قال تعالى:
﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٣) .
وهذا الذي أوصى به يعقوب - عليه السلام - بنيه، نظير الذي أوصى به إبراهيم - عليه السلام -
بنيه من الحث على طاعة الله والخضوع له والإسلام، فالله تعالى اختار لهم هذا الدين الذي عهد
إليهم فيه واجتباهم لهم، مما يقتضي عدم مفارقتة^(٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيم الجوزية).

(ت ٧٥١هـ). مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية. بيروت - الكويت. ط ١٤٠٧. ١٤ هـ - ١٩٨٦م: ١ / ٣٩.

(٢) ينظر: زاد المعاد: ١ / ٤٦

(٣) سورة: البقرة الآية ١٣٢ .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٥٦٠ - ٥٦١ .

وقال لأمة محمد ﷺ: ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠)، فضلهم بكيونتهم من أمته دون أمم الأنبياء قبله (٢).

فالرسل - عليهم السلام - بعثوا لتحقيق خير أممهم، وذلك بإرشادهم إلى الهدف الأسمى، والغاية العظمة، التي تحقق السعادة الأبدية، وهي عباد الله جلَّ جلاله وحده.

ثالثاً - الصبر على المشاق :

العمل مع الناس أو مع الجماهير كما في الاصطلاح السياسي أو مع المواطنين في الاصطلاح الاجتماعي ليس نزهة ولا ترفاً، وكما يقال: المسؤولية تكليف لا تشريف، لذا فعلى المصطفى أو المعين أن يتحمل تبعات العمل مع الناس، ويصبر على مشاق هذا العمل وصعوباته.

وفي هذا المجال يقول تقدس اسمه: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رِعْمَةً مِّنْ رَبِّيَ لَبَدَّ الْغَرَاءَ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣).

ويوضح معنى هذه الآيات ما جاء في سبب نزولها، فقد روي ((أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض - عليه الصلاة والسلام - نفسه على القبائل بمكة، فنزلت)) (٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠

(٢) ينظر: أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤هـ)، جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري، (ت ٤٥٨هـ) عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ت ١٣٧١هـ). حققه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م: ٢ / ٤.

(٣) سورة القلم: الآيات ٤٨ - ٥٠.

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزخشي الخوارزمي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م: ٤ / ٥٩٦؛ مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، بـ(تفسير الرازي). لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي. (ت ٦٠٦هـ). المطبعة البهية المصرية. ميدان الأزهر. مصر. ط ٣. بلا تاريخ: ٢٧٧ / ٨. البحر المحيط: ٣١٧ / ٨؛ اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. شارك في تحقيقه: د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتولي

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح ﴿﴾ البحوث المحكمة

وقيل: «أراد - عليه الصلاة والسلام - أن يدعو على الذين انهزموا بأحد حين اشتد بالمسلمين الأمر، فنزلت»^(١).

ومعنى الآيات: أن الله تعالى أمر نبيه الكريم ﷺ أن لا يكو مثل يونس - عليه السلام -^(٢) حين نادى في بطن الحوت وهو مكظوم ، أي: مملوء غيظاً على قومه، إذ لم يؤمنوا لما دعاهم إلى الإيمان، فنبذ الله جلّ جلاله بالأرض الخالية من الأشجار، أي في الدنيا^(٣). وقيل: بعراء القيامة^(٤). فاصطفاه تعالى بأن ردّ إليه الوحي، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون^(٥). فجعله من الكاملين في الصلاح بأن عصمه سبحانه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى^(٦).

فهنا حدث على تحمل صعاب الدعوة، ومعوقات العمل مع الآخرين، وأن لا ييأس المصطفى أو المجتبي من عدم نجاحه في بداية عمله، بل عليه أن يواصل نشاطه، ويقدم المزيد من الجهد حتى يحقق النجاح .

وفي هذه الآية ترتب الاجتباء بعد مخالفة أمر إلهي، وفي هذا درس كبير لكل إنسان ليعلم أن باب التوبة مفتوح لا يحول بين العبد وبينه حائل، وإنَّ الله تعالى ينعم برضاه ومواهبه على عبده إن علم منهم صدق التوبة وصدق التوجه إليه سبحانه، وفي هذا درس آخر أن من أساء في عمله أو أخطأ، فيمكنه أن يصحح علمه، ويهدب مسيره .

رابعاً - وجوب الجهاد :

الدسوقي الحرب. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨م: ١٩ / ٣٠٨.

(١) ينظر المصادر نفسها.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ). ١٣٧٩هـ: ٤٥١ / ٦.

(٣) ينظر المفردات: ٣٣٦؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي. (ت

٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. بلا تاريخ: ٩ / ١٩؛ اللباب في علوم الكتاب: ١٩ / ٣٠٧ .

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨ / ٣٠٧.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي محمد عبد الحق ابن عطية

الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ). تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم. مؤسسة

دار العلوم. الدوحة. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ١٥ / ٥٤؛ إرشاد العقل السليم: ٩ / ١٩ .

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩ / ١٩ .

في قوله تعالى في هذه الآية^(١): ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلًا أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢).

أي: جاهدوا الله تعالى، أو في سبيله سبحانه، واختلف المفسرون في المقصود بالجهاد هنا على قولين:

الأول - المراد بالجهاد هنا جهاد الكفار حتى يدخلوا في الإسلام، ويقتضي ذلك أن تكون الآية مدنية؛ لأن الجهاد إنما أمر به بعد الهجرة^(٣).

الثاني - الجهاد هو جهاد الهوى والنفس^(٤).

الثالث - المراد به ضروبه الثلاثة (العدو، والشيطان، والنفس)، وليس ذلك من الجمع بين الحقيقة والمجاز في شيء^(٥).

والمعنى أنه جل شأنه اختاركم لا غيره سبحانه، والجملة مستأنفة لبيان علة الأمر بالجهاد، فإن المختار إنما يختار من يقوم بخدمته، ومن قربه العظيم يلزمه دفع أعدائه ومجاهدة نفسه بترك ما لا يرضاه ففيها تنبيه على المقتضي للجهاد^(٦).

والظاهر أن حق جهاده تعالى لما كان متعسراً، ذيله بهذا ليبين أن المراد ما هو بحسب قدرتهم لا

(١) المفردات: ١٠١؛ القاموس المحيط. لأبي الطاهر محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. بلا تاريخ: مادة (جهد) ١/٣٥١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣) ينظر جامع البيان: ١٧/٢٠٥؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي. (ت ٤٦٨هـ). مكتبة الباز. مكتبة المدينة المنورة. بلا تاريخ: ٣/٢٨١.

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٧/٢٠٥؛ الوسيط: ٣/٢٨١؛ روح المعاني: ١٧/٢٠٩.

(٥) ينظر: المصادر نفسها.

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/١٤٣؛ إرشاد العقل السليم: ٦/١٢٢؛ روح المعاني: ١٧/٢٠٩.

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح



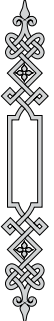
البحوث المحكممة

ما يليق به جل وعلا من كل الوجوه^(١).

وهذه الآية أصل قاعدة المشقة تجلب التيسير^(٢).

فالآية الكريمة ألزمت من اجتباؤه الله تعالى فرداً أو قوماً أو أمة أن يجاهدوا في الله، سواء بمجاهدة أعداء الدين على وفق قدراتهم وطاقاتهم، لا أن يكونوا عوناً للعدو أو وسيلة ينفذ بها العدو أغراضه، ومن جملة هذا التبعية للعدو، وتبني أفكاره ووسائله.

وإن كان الجهاد بمحاربة الشيطان أو بمحاربة هوى النفس؛ فهذا يقتضي مواجهة الأهواء التي لا ترضي الله تعالى، لا أن ينزل المرء تعاليم الدين على حسب أهواءه.



(١) ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م: ٦ / ٣١٦ - ٣١٧.
(٢) ينظر: الدر المنثور. لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت ٩١١هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٩٣م: ٤ / ٣٧١.

الخلاصة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، في خاتمة هذا البحث الذي أريد منه بيان بعض وجوه أسس انتقاء الأصلح في القرآن الكريم ألخص أهم النتائج والتوصيات بما يأتي :
أولاً - النتائج :

١. إن الله تعالى اصطفى الخيرة من خلقه لخير الأعمال، فاصطفى خير الملائكة، وخير البشر رسلاً، كما اصطفى بعض الأقوال والأمم لتكليفهم بأشرف الأعمال وهي تلك المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى .

٢. هناك معايير ذاتية ينبغي أن يتحلى بها الشخص المصطفى لأداء الأعمال على العموم، فلا ينبغي أن توكل المهام لغير مستحقها أو لغير المؤهلين لها.

٣. وجوب اختبار الكفاءات والقدرات ومعرفة مدى قدرتها على أداء الأعمال التي ستكلف بها .

٤. أهمية العلم وإحاطة الشخص المصطفى بالمعارف المتصلة بالأمر الذي اجتبي له .

٥. من الضروري أن يكون الشخص المصطفى سائراً على المنهج الصحيح معروفاً به، وأن لا يكون ممن عرف بممارسات منحرفة أو غير سوية .

٦. أهمية التناسب بين الشخص المصطفى وبين العمل الموكل به، من الناحيتين الذهنية والبدنية .

٧. أن يحرص الشخص المصطفى إلى إحقاق الحق والعدل، وفي مقدمة ذلك العمل بما يرضي الله تعالى .


٨. الاتصاف بالصبر والقدرة على تحمل الأذى والمرونة مع معيته ومع عامة الناس .

٩. أن يسعى بصدق إلى تغليب مصلحة السلام، ومصلحة بلده على مصالح الآخرين .

١٠. أن يعمل بدأب على منازعة الأهواء والرغبات الشخصية، وأن يكون هدفه خدمة الصالح العام لا تحقيق مكاسب الذاتية .

ثانياً - التوصيات :

لا قيمة لأي توصية تصدر من أي جهة ما لم تكن هناك قناعة جدية بها، لذلك فإن من يؤول أو يحرف النصوص لتلائم غرضه سوف لن تجدي معه أي نصيحة، ولن تنفع معه أي مشورة، وهذا يقتضي :

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح  البحوث المحكمة

١. أن تضع الجهات المسؤولة مهما كانت صفتها المصلحة العليا وهي مصلحة الدين ومصلحة البلد في مقدمة أولياتها .


٢. أن تكون هناك معايير دقيقة مبنية على أسس علمية في اختيار الأشخاص أو الجماعات لأداء المهام، ورفض أي وسيلة تقوم على أسس تؤدي إلى تفريق الدين وتشتيت وحدة المجتمع .

٣. العمل بشفافية مع اعتراضات الآخرين على اختيار غير المؤهلين ؛ لأن تولى غير المؤهلين سيؤدي إلى أضرار خطيرة لا تحمد عقبائها .
والله ولي التوفيق، وهو ناصر المؤمنين .



المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤هـ)، جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري، (ت ٤٥٨هـ) عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ت ١٣٧١هـ). حققه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
٢. أحكام القرآن، لعماذ الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، (ت ٥٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي. (ت ٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. بلا تاريخ.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي الشافعي. (ت ٦٨٥هـ). تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥. البحر المحيط. لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. الشهرير بابن حيان وبأبي حيان. (ت ٧٥٤هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩هـ.
٦. تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي. (ت ٧٧٤هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠١هـ.
٧. التوقيف على مهمات التعاريف. لمحمد عبد الرؤوف المناوي. (ت ١٠٣١هـ). تحقيق: د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر - دمشق، ودار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. ١٤١٠هـ.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري. (ت ٣١٠هـ) دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠٥هـ.
٩. الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي. (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني. دار الشعب. القاهرة.

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح  البحوث المحكمة
ط ٢. ١٣٧٢ هـ.

١٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. (ت ٦٠٨ هـ). مؤسسة الأعلمي للطبوعات. بيروت. بلا تاريخ.
١١. الدر المنثور. لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت ٩١١ هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٩٣ م.
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي. (١٢٧٠ هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت بلا تاريخ.
١٣. زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي. (ت ٥٩٧ هـ). المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت. ط ٣. ١٤٠٤ هـ - ١٩٩٠ م.
١٤. زاد المعاد في هدي خير العباد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية. بيروت - الكويت. ط ١٤. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري. (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط ٢. ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٦. عناية القاضي وكفاية الرازي، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (ت ١٠٦٩ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨ م.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني. (ت ٨٥٢ هـ). دار المعرفة. بيروت. ١٣٧٩ هـ.
١٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني. (ت ١٢٥٠ هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. بلا تاريخ.
١٩. الفروق اللغوية. لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
٢٠. القاموس المحيط. لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الصديقي

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م.

٢٢. اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. شارك في تحقيقه: د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتولي الدسوقي الحرب. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨م.

٢٣. لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري. (ت ٧١١هـ). دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ). تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم. مؤسسة دار العلوم. الدوحة. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.


٢٥. مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (توفي بعد ٦٦٦هـ). تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٦. معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي). لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ). تحقيق: خالد العك، ومروان سوار. دار المعرفة. بيروت. ط ٢. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٧. المغرب في ترتيب المعرب. لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز. (ت ٦١٠هـ). تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار. مكتبة أسامة ابن زيد. حلب. ط ٢. ١٩٧٩م.

٢٨. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي). لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي. (ت ٦٠٦هـ). المطبعة البهية المصرية. ميدان الأزهر. مصر. ط ٣. بلا تاريخ

٢٩. المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.

أسس الاصطفاء والاجتباء والاختيار للأصلح  البحوث المحكمة
(ت ٥٠٢هـ). أعدده للنشر وأشرف على الطبع: د. محمد أحمد خلف الله. مكتبة الأنجلو المصرية. بلا
تاريخ.

٣٠. النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد
بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي،
ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي.
(ت ٤٦٨هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. أحمد محمد
صبرة، ود. أحمد عبد الغني الحيل. مكتبة الباز. مكتبة المدينة المنورة. بلا تاريخ.

